

Review of Literary Narcissism in Strengthening the Moral-Educational Models of Contemporary Arab Poets Based on Heinz Kohat's Own Theory (The Case Study of Mahmoud Sami Baroudi)

Soudabeh Broji¹, Qassem Mokhtari^{2*}, Mahmoud Shahbazi², Mohammad Jurfi³

Abstract

Today, when cultural neglect and invasion in the form of virtual attractions cast a shadow on people's thoughts, the moral-educational mission of poetry takes on a more important role in the field of literature. Although the critics of Wadibani have different theories in this field; Some believe that art should only serve morality, and on the other hand, there are radical artists who expect only art from a work, and another group believes that there is a mutual relationship between words and images. But it must be said that poetry is not just a bunch of similes, metaphors, and images, and if it does not carry a message, it will not be sealed with eternity. While emphasizing the interaction between art and morality, the author's goal is to investigate the role of narcissism in strengthening behavioral-ethical patterns in contemporary Arabic literature based on the method of content analysis and description with reference to Mahmoud Sami el-Baroudi's poetry. Since our behavior with others is a reflection of our behavior with ourselves; The concepts of narcissism and self-compassion play an important role in creating a sense of empathy and healthy living; Therefore, the subject of study is the narcissistic poets of this period. Research shows that themes such as chastity, anti-tyranny and efforts to awaken the mind, patriotism, belief in death and resurrection, call to jihad and not remaining silent in the face of oppression in the poetry of contemporary Arab literary narcissists have a higher frequency than There are other eras in the history of Arabic literature.

Keywords: Literary Narcissism, Behavioral and Moral Model, Kuhat, El-Baroudi

-
1. PhD student, Department of Arabic Language and Literature, Arak University, Arak, Iran
 2. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Arak University, Arak, Iran
 3. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Arak University, Arak, Iran

Correspondence Author: Qassem Mokhtari

Email: q-mokhtari@araku.ac.ir

Receive Date: 26.06.2023

Accept Date: 07.10.2023

How to Cite: Broji S, Mokhtari Q, Shahbazi M, Jurfi M., Review of Literary Narcissism in Strengthening the Moral-Educational Models of Contemporary Arab Poets Based on Heinz Kohat's Own Theory (The Case Study of Mahmoud Sami Baroudi), Quarterly Journal of Contemporary Literature Studies, 2023;15(59):92-118.



پژوهشکاو علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتابل جامع علوم انسانی

بررسی خودشیفتگی ادبی در ارائه‌ی الگوهای تربیتی- اخلاقی در شعر شاعران معاصر با تکیه بر نظریه‌ی «خود» از هاین‌کوهرت (نمونه مورد پژوهانه؛ محمود سامی البارودی)

سودابه بروجی^۱، قاسم مختاری^{۲*}، محمود شهبازی^۳، محمد جرفی^۳

چکیده

امروزه که تغافل و تهاجم فرهنگی در قالب جاذبه‌های مجازی بر افکار مردم سایه افکنده است، رسالت اخلاقی- تربیتی شعر در حوزه‌ی ادبیات نقش مهم‌تری به خود می‌گیرد؛ اگرچه منتقدان و ادبیان نظریه‌های متفاوتی در این زمینه دارند؛ اما باید گفت شعر فقط مشتی از تشبيهات واستعارات و تصویرپردازی‌ها نیست و قطعاً حامل یک پیام اخلاقی و عاطفی است. هدف نگارنده ضمن تاکید بر وجود تعامل میان هنر و اخلاق، بررسی نقش خودشیفتگی در ارائه‌ی الگوهای رفتاری- اخلاقی در ادبیات معاصر عربی، براساس شیوه‌ی تحلیل و توصیف محتوا با استناد به شعر محمود سامی البارودی است؛ نتایج تحقیق حاکی از آن است که آن تحول عظیمی که در ادب معاصر عربی رخ داد به عرصه‌ی خودشیفتگی نیز راه یافته و آن را از محوریت خودخواهی و عطش برای دیده شدن دور ووارد قلمرو آرمان شهری و ترسیم مدینه‌ی فاضله کرده است؛ لذا با بررسی اشعار محمود سامی البارودی، شاعر بزرگ نارسیسم معاصر عربی، دریافت شد که مفاهیمی چون ستودن شجاعت و قهرمانی‌ها، فقرستیزی، داشتن روحیه‌ی جهاد و شهادت طلبی، عدم دلبستگی به دنیا ولذات آن، عفت و پاکدامنی، پرهیز از سخن‌چینی، دروغ و اسراف، وفاداری به عهد و پیمان، صبر و بردازی، بخشش و کرم؛ از جمله مهمترین دستاوردهای خودشیفتگی ادبی سالم در شخصیت شاعر است که ریشه در استقلال طلبی و آرمان گرامی وی دارد وaz آن جا که اوتھحصلیل کرده‌ی مدرسه‌ی نظام فرانسه بود و به زبان و ادبیات انگلیسی تسلط

۱. دانشجوی دکتری، گروه زبان و ادبیات عرب، دانشگاه اراک، اراک، ایران

۲. دانشیار، گروه زبان و ادبیات عرب، دانشگاه اراک، اراک، ایران

۳. استادیار، گروه زبان و ادبیات عرب، دانشگاه اراک، اراک، ایران

ایمیل: q-mokhtari@araku.ac.ir

نویسنده مسئول: قاسم مختاری

داشت؛ بنابراین خودشیفتگی او حاصل از فرافکنی و تصاویر کذب که از نفسی سریع الانفعال برخاسته باشد نیست، بلکه پارادوکسی زیبا از تلفیق ذوق و روح عزتمند او با حس همدلی و خودشفقت و رزی مخلصانه برای وطن و مردم خویش است.

واژگان کلیدی: خودشیفتگی ادبی، الگوی اخلاقی - تربیتی، هاینزکوهت، بارودی

ارجاع: بروجی سودابه، مختاری قاسم، شهبازی محمود، جرفی محمد، بررسی خودشیفتگی ادبی در ارائه‌ی الگوهای تربیتی- اخلاقی در شعر شاعران معاصر با تکیه بر نظریه‌ی «خود» از هاینزکوهت (نمونه مورد پژوهانه؛ محمود سامی البارودی)، دراسات ادب معاصر، دوره ۱۵، شماره ۵۹، پاییز ۱۴۰۲، صفحات ۱۱۸-۹۲.



پژوهشکاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

دراسة النرجسية الأدبية في تقديم النماذج التربوية - الأخلاقية في أشعار الشعراء العرب المعاصرین بالاعتماد على نظرية «الذات» لهاينز كوهوت (محمود سامي البارودي نموذجاً)

سودابة بروجي^١، قاسم مختاری^{٢*}، محمود شهبازي^٣، محمد جرفی^٤

الملخص

اليوم إذ يلقى الإهمال والغزو الثقافي في إطار عوامل جذب افتراضية، بظلاله على أفكار الناس، تتخذ المهمة الأخلاقية - التربوية للشعر في ميدان الأدب، دوراً أكثر أهمية، رغم اختلاف آراء النقاد والأدباء بهذا الشأن، إلا أنه يجب القول بأن الشعر ليس مجرد حفنة من التشبثيات والاستعارات والصور، ولا شك أنه يحمل معه رسالة أخلاقية وعاطفية. يتمثل هدف الكاتب، إلى جانب تأكيده على وجود التفاعل بين الفن والأخلاق، بدراسة دور النرجسية في تقديم النماذج السلوكية - الأخلاقية في الأدب العربي المعاصر، وفقاً لمنهج تحليل المحتوى ووصفه استناداً إلى شعر محمود سامي البارودي. تشير نتائج البحث إلى أن ذلك التطور الضخم الذي حدث في الأدب العربي المعاصر، شق طريقه إلى مجال النرجسية أيضاً، فأبعده عن التركيز على النرجسية والتعطش لحب الظهور، وأدخله إلى الحدود الطوباوية وتصویر مدينة فاضلة، ولذلك ومع استعراض أشعار محمود سامي البارودي، الشاعر العربي الترجسي المعاصر الكبير، يتضح أن مفاهيم مثل الإشادة بالشجاعة والبطولات، ومقارعة الفقر، وامتلاك الروح الجهادية والاستشهادية، وعدم التعلق بالدنيا ولذاتها، والعرفة والحسمة، وتجنب التنميمة والكذب والإسراف، والوفاء بالعهد، والصبر والجلد، والساخاء والكرم، هي من جملة أهم مكاسب النرجسية الأدبية الصحيحة في شخصية الشاعر، والتي تتتجذر في روح الاستقلالية والمثالية لديه، وبما أنه تخرج في المدرسة العسكرية بفرنسا وكان ملماً باللغة الإنجليزية وأدابها، فإن نرجسيته ليست نتاج الإسقاط النفسي والصور الكاذبة المنبعثة من نفس سريعة الانفعال، بل إنها مفارقة جميلة تتجلى في المزاج بين ذوقه الرفيع وروحه العزيزة، وبين الشعور بالتعاطف والعطف الذاتي المخلص تجاه وطنه وشعبه.

الكلمات الرئيسية: النرجسية الأدبية، النموذج الأخلاقي - التربوي، هاينز كوهوت، البارودي

١. طالبة الدكتوراه، في قسم اللغة العربية وأدابها، بجامعة اراك، ایران
٢. استاذ مشارك، في قسم اللغة العربية وأدابها، بجامعة اراك، ایران
٣. استاذ مساعد، في قسم اللغة العربية وأدابها، بجامعة اراك، ایران

المقدمة

هذه الدراسة تقدم نقداً وتحليلاً لموضوع النرجسية الأدبية في تاريخ الأدب العربي المعاصر ، يمثل النقد الأدبي واحداً من المجالات الرئيسية التقليدية للحركة الأدبية والثقافية عموماً. وكان النقد الأدبي لدى العرب يتركز بالدرجة الأولى على اللغة وتركيبياتها وسياقاتها، ثم أخذ يتسع إلى المعاني والصور البلاغية ثم توسيع وتفرغ في اتجاهات كثيرة بعضها يخرج عن مفهوم النقد الأدبي بصورة الضيقه. وأن النقد الأدبي كان دائماً نتاجاً للحياة الاجتماعية وللنشاط الثقافي والفكري والسياسي العام، باعتبار أن الأدب ذاته هو حصيلة لكل هذه المفردات متاثر بها، وهو مرآة لها بطرائق مختلفة (انظر إلى متحن، مهدي ونرجس توحيدى فر، ١٣٩٢: ٩١-١٠٢). إن الالتزام بالمبادئ السلوكية - الأخلاقية هو من تراث مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولهذا، كان دأب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤذن بعض الشعراء الجاهليين بسبب نشر المحتوى الإباحي، ذلك لأن الثقافة الجاهلية كانت متجردة في التقاليد المغلوطة والعصبيات الطائفية الشديدة ووصف مجالس اللهو واللعب والمجون. كان هذا الأمر من الأهمية بحيث أن «المقطع الأخير من سورة الشعراء قرر بشأن الشعر والشعراء، فذكر أن الشعراء إذا كانوا من الصالحين ولهم أعمال طيبة وصالحة، وعملوا بما يقولون، فإن الآيات الثلاث الأخيرة من سورة الشعراء لن تتطبق عليهم. فكان الأئمة الأطهار عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستعينون بهذا الاستثناء القرآني، فيكرّمون الشعراء الملتزمين المعاصرين لهم بشتى أنواع التكريم» (كلاتنري، ٢٠٠٧: ٩٢). أما القيم الأخلاقية والسلوكية، فإنها تشكل جزءاً مهماً من حياة البشر، ولها تأثير ملحوظ في جودة علاقاته مع الآخرين. يؤكد دين الإسلام بشكل خاص على هذه المقوله المهمة، بحيث قدّم مكارم الأخلاق على أنه الهدف من وراء مبعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهم واجباته: «إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق» (المجلسي، ١٠٠٩، ج ٦٨: ٣٨٢). ومن هنا، فإن التربية الأخلاقية لا تتحصر فقط في مجال الأخلاق وعلم الاجتماع أو علم النفس فقط، بل تمتد لتشمل شتى المجالات، ومنها ميدان الأدب و«أفلاطون هو أول من اعتمد على القيم الأخلاقية في الأدب» (إسلامي ندوشن، ١٩٩١: ٢٢٦). «الماهية الأساسية للأدب التعليمي هي الخير والحقيقة والجمال» (شفيعي كدكني، ١٩٩٣: ٨١). الشعر الأخلاقي هو شعر «يشرح للقارئ معرفة ما الذي يعرض القضايا الأخلاقية أو الدينية أو الفلسفية بشكل أدبي» (شميسا، ١٩٩٧: ٢٤٧). «في آفاق أوسع، يمكن القول: كل عمل فني، يعطي درساً للقارئ أو الملتقى، ولهذا فهو معلم» (يلمهـها، ٢٠١٦: ٦٧). هناك اختلاف كبير في وجهات نظر الأدباء والنقاد في مجال الأدب والأخلاق، حول أهمية الشعر، وكما سبق وقلنا، فإن طائفة من دعاة الأخلاق المتطرفين، يعتبرون

المهمة الوحيدة للشعر نشر المفاهيم الأخلاقية، ويقع في مواجهتهم، طائفة أخرى من دعاة الفن المتطرفين، يرون أن الفن لا يعدو أن يكون صورة شاعرية، «فإن هذه الرؤية ترمي إلى أن التجربة الفنية هي أعظم تجربة يملكونها البشر، ولا شيء يجب أن يمنعها. من هذا المنظور، لا أهمية للأعمال الفنية الفرعية غير المرغوب فيها، مقارنة مع التجربة المهمة التي يتحققها الفن» (تولستوي، ١٨٩٧: ١٠٩). هناك طائفة ثالثة معتدلة يعتقدون بأن الشعر حصيلة المزاج بين الفن والأخلاق و«تحمل القيم الجمالية والأخلاقية، أدواراً متباعدة لكي تمثلها، إلا أن أيّ منها لا تعمل مستقلةً عن الأخرى، ومن هنا، فإن الفن والأخلاق مرتبطان» (كانت، ١٩٤٩: ١٣٣). الشعر هو فن الكلام، والعامل الوحيد الذي يمنحه ماهيته هو الإلزام بمراعاة المبادئ الأخلاقية - السلوكيّة والمثالية. توجد علاقة طردية بين الرفاهيّة والترجسية الصحّية، وكلما أحبّ الإنسان نفسه واحترم نفسه ومحبّاته ومُثلّه، أقام علاقة أفضل وأكثر عقلانية مع الآخرين. وهذه القضية المهمة تلمسها في شعر الشعراء الترجسيين. تتجلّى الخصائص والمكارم الأخلاقية والسلوكيّة ظهوراً أوّلها في شعر الشعراء الترجسيين؛ وعليه فقراءة سطحية لأعمال هذه المجموعة من الشعراء، تطالعنا حالات من الإعجاب بالنفس تصطبغ بصبغة الحكمة والعظة، وكلما اقتربنا من العصر المعاصر للأدب العربي، زال عنصر الأنانية ومركزية الذات تدريجيًّا عن أفكار الترجسيين الفنيين وأقلامهم، واتخذ طابعاً قومياً. إذا كانت هواجس النرجسية الأدبية في العصر الجاهلي أو العباسى بشكل جزئي، لفت الانتباه والتعطش لحب الظهور وكسب التأييد، فإن الاهتمامات في العصر المعاصر تنصب على يقظة الأذهان وبعث الأفكار والوطنيّة، ومن هنا، فقد اختار الباحث العهد المعاصر لدراسة دور النرجسية بالنظر إلى النموذج الأخلاقي - السلوكي. قام الكاتب، إلى جانب تقديمه تعريفاً موجزاً للترجسية وأنواعها ومكانتها في الأدب ودورها في تعزيز النماذج الأخلاقية - السلوكيّة للشعراء الترجسيين العرب المعاصرين، قام بتبيين تجلّيات الالتزام الأخلاقي في شعر البارودي، لكي يجيب، من هذا المنطلق، إجابة متعلقة على هذه التساؤلات:

- ١- ما هي العلاقة بين الترجسية والشعر الأخلاقي؟
- ٢- ما هو دور الترجسية الأدبية في تقديم النماذج السلوكيّة - الأخلاقية لدى الشعراء الترجسيين العرب المعاصرين؟
- ٣- ما هو التأثير الذي تركه البارودي باعتباره شاعراً مؤثراً في فترة النهضة، على الحركة الأدبية ونشر المفاهيم التربوية والأخلاقية، من خلال صوره الشعرية؟

أبحاث سابقة

في الدراسات التي تحويها الكتب والمقالات والرسائل الجامعية وغيرها من النصوص العلمية في مجال النرجسية وأبعادها المختلفة، بقي البحث والتقصي عن النرجسية الأدبية في تجليات الالتزام الأخلاقي في شعر الشعراء النرجسيين مغولاً عنهم، ولذلك، انبرى الباحث للحصول على إجابة شافية ومستدلة على أسلمة البحث من خلال دراسة هذا الموضوع. الأعمال والأبحاث المتحصلة التي لها صلة بموضوع النقاش هي على النحو الآتى:

ياسر هوشيار وفiroz حريرچي، فى مقالهما «ملامح الرومانسية فى شعر محمود سامي البارودى» ، مجلة دراسات الأدب المعاصر، تتناولا أحد مظاهر التجديد فى شعر محمود سامي البارودي وهى الرومانسية. البارودي بحكم حياته تأثر بمعذهب الرومانسى وخطا فيه خطوة الرومانسيين. لكنه لما تسود عليه النزاعات المختلفة من الكلاسيكية والواقعية تأتى رومانسية أحياناً غير واضحة مما يضطر القارئ الى امعان النظر الطويل لكشف الرومانسية في أشعاره ومن أهم المضامين الرومانسية التي تجلت في أشعاره هي الطبيعة، الحبّ والحنين، الدعوة الى العزلة والاغتراب.

حسين بايندة (٢٠١٦) في مقاله «كريستوفر لاش وثقافة النرجسية» إنما يدرس النرجسية من ناحية أبعادها السيكولوجية والاجتماعية، ويعتبر لفظة النرجسية استعارة لوصف ظروف الإنسان المعاصر، وبعد تقديمها تعريف للنرجسية، يتناول تحليل آراء المنظرين المتأخرین حول النرجسية الحديثة، ثم بيّن فيما سيتبع من البحث، وجوه الاختلاف والاشتراك بين منظرين أمثال فروم^١، وفرويد، وميلاني كللين^٢، وأتو كيرنبرغ^٣، وإيلين ويليس^٤ حول النرجسية.

سيد مهدي مسبوق وحميد آفاجاني (٢٠١٥) في مقالهما «النرجسية والإعجاب بالنفس في أشعار خاقاني وبشار بن برد» إلى جانب تقديمها بعض التعريف لمفردة النرجسية، يقومان بتبيين ماهية الإعجاب بالنفس وأسبابه في أشعار الشاعرين المشار إليهما، ويستعرضان وجوه الاشتراك والاختلاف بينهما، ويحلّلان القيم السائدة على الأدبين العربي والفارسي.

فائزه عرب يوسف آبادي وعبد الباسط عرب يوسف آبادي (٢٠٢٠) في مقالهما «التحليل النفسي لاضطراب النرجسية في شعر أبي فراس وخاقاني بناء على نظرية كريستوفر لاش» يدرسان أهم الخصائص النفسية الخاصة بالنرجسية في شعر

1- Erich Fromm

2- Melanie Klein

3- Otto Kernberg

4- Ellen Willis

الشاعرين المذكورين استناداً إلى نظرية ونموذج كريستوفر لاش، ومن خلال دراستهما هذه، يقumen بتبيّان أبرز المكونات السيكولوجية حول النرجسية، ويتمثل أهمها بجنون العظمة، والتهرب من المجتمع، والشكوى.

نوافعه (٢٠١٣) في كتابه «النرجسية في الشعر العربي»، دراسة في شعر عمر بن أبي ربيعة ونزار قباني» يستعرض الأشعار الغرامية للشاعرين، ويبيّن خصائصهما السيكولوجية من حيث الإعجاب بالنفس وجنون العظمة والسعي لاحتقار الخصم، ويتوصّل إلى نتائج مشتركة فيما يتعلق بالخصائص الروحية والنفسيّة للشاعرين.

حسناء أقدح (٢٠١٣) في مقالتها «النرجسية وتجلياتها في غزل ابن زيدون» إلى جانب تقديمها بعض التعريف لظاهرة النرجسية، تتوصّل إلى نتيجة مفادها أن معظم أشعار ابن زيدون تتعلّق بالثناء على نفسه واعتبار نفسه كريم المحتد، وتعتبر النرجسية جزءاً لا يتجزأ من شخصية الشاعر.

كافي آباد توكي وأخرون (٢٠١٥) في مقالهم «دراسة مقارنة للنرجسية في شعر خاقاني والمتبّي» يرون أن سبب النرجسية لدى الشاعرين المشار إليهما يعود إلى مرتكبات النقص والفراغات التي لها جذور في أيام الطفولة لدى الشاعرين.

مسبيوق وأخرون (٢٠١٥) في مقالتهم «النرجسية والإعجاب بالنفس في أشعار خاقاني وبشار بن برد» يدرّسون جذور ظهور النرجسية في شعر الشاعرين، ويقومون بتبيين الثقافة والقيم السائدة على المجتمعين الإيراني والعربي بشكل مقارن. باغري وتركشوند (٢٠١٧) في مقالهما «النرجسية في شعر أحمد صافي النجفي» يتّلّوا لأن تحليل أسباب وجود الإعجاب بالنفس في شخصية الشاعر، ويستنتاجان أن حياة الشاعر الشاقة والمليئة بالمصاعب والخلافات التي كان يعاني منها في صباه، أصابته بالنرجسية كاضطراب شخصية.

عبدالكريم رشيديان (٢٠٠٦) في مقاله «ثقافة النرجسية» يدرس الطبقات المختلفة للنرجسية في رؤية كريستوفر لاش، وبعد ذلك، بيّن العناصر التي تتقّصها رؤيته.

كريس هيدجيز (٢٠٠٩) في مقاله «كيف تتغلّب النرجسية على الواقع؟» يشير إلى الجوانب الثقافية والاجتماعية لحياة المشاهير الأميركيين، ويقوم بتبيين الجوانب غير الإنسانية لهذه الظاهرة، ويحاول أن يُظهر كيف تعمل ظاهرة النرجسية على تقويض الفرد من فرديّته.

محمد حسن أمرائي وجهاً غير أميري (٢٠١٦) في مقالهما «تداعيات إثبات الذات والنرجسية في شخصية أبي فراس الحمداني ورومياته»، في ضوء نظرية هاينز كوهوت» يقدمان تعريفاً للنرجسية وترجمة لحياة أبي فراس الحمداني، ويوضّحان

الجوانب المختلفة للإعجاب بالنفس في شخصية الشاعر بالاعتماد على آراء هاينز كوهوت، ويستتتجان أن عنصر النرجسية قد كان موجوداً بالفعل في شخصية أبي فراس.

ضرورة البحث وأهميته

كما نعلم، فإن الإعجاب بالنفس قد شمل معظم المضامين في شعر الأدب العربي، ولكن لم يخضع هذا العنصر السيكولوجي كما ينبغي، لتحليل إيجابياته وسلبياته في ميدان الأدب العربي، والقلائل الذين تناولوا تحليل النرجسية في شعر قلة من الشعراء العرب، إنما أظهروا في الغالب، جوانب سلبية وفاسدة لهذا الموضوع، تُعرف بـ «الاضطراب النفسي»؛ ولهذا، يقوم الكاتب إلى جانب تأكيده على أهمية الجانب الأخلاقي في الشعر، بتبيين دور النرجسية والعطف الذاتي في سياق تقديم النماذج الأخلاقية - التربوية للفنانين النرجسيين، وبناء على هذا، يعتبر الباحث أنه تكمن ضرورة كتابة هذا المقال وأهميته في التتويجه بأمررين مهمين:

- ١- الاهتمام بالأهمية الأخلاقية والتربوية للشعر ومكانتها المهمة في تأصيل ثقافة الرفاه السلمي في المجتمع.
- ٢- الاهتمام بدور النرجسية الأدبية الصحية والتعاطفية باتجاه تقديم النماذج السلوكية الأخلاقية في شعر النرجسيين من الأدباء.

فرضيات البحث

١- رغم أن الأدب وخاصة الشعر، يرتبط ارتباطاً عميقاً للغاية بالجوانب السيكولوجية والشخصية للشاعر، إلا أن بعض الخصائص السيكولوجية مثل «النرجسية» والتي يشار إليها بـ «اضطراب الشخصية»، تحمل جوانب ووجوهاً معيارية تتسبب بنقل الثقافة الصحية عبر الشعر إلى المتلقى، ذلك لأن كيفية تصرفنا مع أنفسنا تتعكس على جودة صلاتنا بالآخرين، فلنرجسية علاقة طردية مع الشعر الأخلاقي، والتي إذا تم التعبير عنها في الاتجاه الصحيح، تؤدي إلى إنشاء علاقات سلمية مع الآخرين، والعكس صحيح، فإذا اتخذت طابعاً أنانياً، يجرّ الشاعر إلى الانحلال الأخلاقي والانهيار الأدبي.

٢- الشعر نتاج الأدبية، والأدبية متجلزة في العاطفة، والخيال، والتصوير، والانزياح، والاستخدام الصحيح والكافى للمحسنات اللفظية والمعنوية، ومن هنا، فإن العمل الأدبي له قوة نفوذ أكثر مقارنة مع نص اعتمادى. مع ملاحظة ما تقدم، فإن النرجسية الصحية إن كانت فنية ولها منشاً أدبي، تلعب دوراً فعالاً في الإيحاء بالمفاهيم الأخلاقية - التربوية للشعر، ذلك لأنها تدعى إلى صفات كالمثالية، واستقلال الشاعر النرجسي وأنفته. إن الشخص النرجسي الذي يرى نفسه أسمى من الفطائع

والأفعال الدينية، هو عزيز وهادف، ولا ينفك يسعى سعيًا حثيثًا وبروح تعاطفية، للارتقاء بنفسه وبأبناء جنسه.

٣- الشاعر النرجسي في العهد المعاصر، يحمل هموم وطنه ويختلف على مصير وطنه وشعبه، وهذا موضوع يطالعنا في شعر البارودي الذي يأخذ على عاتقه مهمة تربية المجتمع عبر الثناء على نفسه وبسالته وشجاعته وقدرته على البلاغة، ويسلط على الغفلة والسكوت في وجه الظلم، ويدعو الجميع إلى التبصر والكافح، ولا يزال يسعى جاهدًا لكسب السمعة الحسنة والخالدة، ويتحدث عن العفة والخشمة والسلام والصداقة.

منهج البحث

يقوم الكاتب إلى جانب تقديمِه تعريفاً موجزاً للنرجسية وأنواعها ومكانتها في الأدب ودورها في تعزيز النماذج التربوية للشعراء النرجسيين العرب المعاصرين، يقوم بتتوير تجليات الالتزام الأخلاقي في شعر البارودي. يتمثل الهدف العام من هذا البحث أنه ومن خلال إجراء دراسات دقيقة على شعر محمود سامي البارودي، باعتباره شاعراً نرجسياً معاصرًا، يتم إزالة الرؤية السلبية البحت عن هذه الظاهرة السيكولوجية، ويجري التوعية بشأن جوانبها الصحية في المجتمع، ولذلك، فإن البحث الماثل أجري باتباع باراديم التأويلية والمنحي النوعي والوصفي ومنهج دراسة الحال، واستقى من منهج المكتبات أو مراجعة النصوص بمنحي منهج من أجل جمع المعلومات. في الخطوة الثانية لمراجعة الكتابات العلمية، وبالنظر إلى أن مجتمع البحث وبيئة البحث (الجامعات والمنظمات و.. الخ) والأدوار (الأستاذ والطالب الجامعي و.. الخ) يتسمان بكثرة التتنوع والاتساع، فقد حاول الباحث، وللحيلولة دون التحيز في اختيار المجلات أو قواعد البيانات، أن يستخدم كتاباً تاريخية معتمدة وسيكولوجية عند مراجعته للكتابات، ولذلك، تجب الإitan بنصوص متكررة وناقصة عند مراجعة الكتابات العلمية.

مفهوم النرجسية ومكوناتها

كما سبق وقلنا، فإن المفهوم السيكولوجي للنرجسية مأخوذ من أسطورة يونانية تحمل الاسم نفسه. فبموجب هذه الأسطورة، كان نرجس شاباً بهي الطلعة يتغافل المشاعر الغرامية التي تُوجه إليه، وهذا التغافل ألقاه في ورطة خالدة. فذات يوم، كان عند بحيرة إذ شاهد محياه في الماء، فشغف بوجهه، وهو إذ لم يكن باستطاعته الوصول إلى هذا الوجه أو رفع عينيه عنه، نسي الأكل والشرب، وتتجذر عند

البحيرة، فتحّول شيئاً إلى زهرة سُمِّيت باسمه (سميت، ٢٠٠٥: ٣٤٨). مصطلح النرجسية استخدمه عالم النفس الفرنسي الشهير، ألفريد بينيه¹ لأول مرة عام ١٨٨٧، ثم تناوله سيموند فرويد² بصورة منهجية عام ١٩١٠ (انظر: موللي، ٢٠١٣: ١٦٤-١٦٦). في تعريف شامل للمصطلح، يمكن القول «اضطراب الشخصية، النرجسية هو اضطراب مطرد يتميز بمركزية الذات، ونقص الشعور بالتعاطف مع الآخرين، والإحساس المبالغ فيه باعتبار الذات مهمًا. وعلى غرار غيره من اضطرابات الشخصية، يؤدي هذا الاضطراب إلى نشوء نموذج سلوكي مستدام يؤثر سلباً على العديد من جوانب الحياة المختلفة، من العلاقات الاجتماعية والعائلية والمهنية» (قرباني، ٢٠٠٥: ١٢٤). على هذا الأساس، فإن أهم مكونات النرجسية هي: الانطوائية الحادة، والطموحات غير الواقعية، والتارجح الشديد بين جنون العظمة وعقدة النقص، وعدم القدرة على معاشرة الآخرين ومجالستهم، وال الحاجة الماسة إلى انتباه الآخرين ومديحهم، وتوقع تلقى معاملة خاصة من قبل المجتمع والناس، والحساسية المفرطة للنقد واعتبار النقد كهجمة شخصية، و اختيار أهداف غير واقعية ووهمية، وتوقع اشتراك الآخرين مع الشخص في الآراء، وعدم القدرة على تحديد مشاعر الناس ورؤاهم والتعرف عليها، وحسد الآخرين ظناً منه أنهم يحسدونه، والحساسية الحادة لإساءات الآخرين ونقدتهم (انظر إلى البحيري، ١٩٨٧: ٣٧ ونريمانى، ٢٠١١: ٥٠ و٥١).

النرجسية في الأدب

«إن الذات في كل شخصية يشكل نواتها ومضمونها، ويعبر عن نمط معين من سلوكها وطريقة تفكيرها. من أنواع اضطرابات الشخصية، النرجسية التي تعنى الميل المفرط للشخص إلى نفسه. الشخص المصايب بهذا الاضطراب غير متعاطف مع غيره ولكنه يحتاج إلى أن يُثني عليه باستمرار. بما أن الشعر ينبغى من عمق أحاسيس الشاعر وعواطفه، يمكن أن يكون مرآة عاكسة لشخصية الشاعر وحالته النفسية» (عريق، ١٩٧٢: ٢٩٥)، ولذلك، فإن الميل الذهني إلى مضمون معين، يُظهر الأصداء النفسية المختلفة للشاعر ويشكّل علامه على معايير الشاعر وردود فعله وتصرفاته. تعمل دراسة هذه الحالات على استخراج الطبقات الخفية لشخصية الشاعر من ثنايا كلامه، وتميط اللثام عن لاوعيه وانجداباته الروحية (الحسمني ونجم، ١٩٩٠: ٤٢١)، وعليه، يمكن القول من منطلق التعريف المذكورة بأن النرجسية تُعتبر نوعاً من «الحب المفرط للذات»، وإن النرجسية الفنية والأدبية، في رأي الباحث، هي أن الشعر بجميع ما له من المميزات البلاغية والأدبية، تتجلى فيه

1- Alfred Binet

2- Sigmund Freud

العلاقة بين الشخصية وعزيمة الشخص وروح المثالية لدى الشخص، حيث يتمخض عن الانسيابية الفنية، ومن هذا المنطلق، يمكن القول بأن الترجمة من شأنها أن تكون خالية من أي تفريح لعقدة النقص والغضب والعداء الشخصي والإعراب عن الاستكثار بالنسبة للغير، فتحتفنا بعمل فني ورسالة أخلاقية من خلال تقديم كلام أدبي فاخر.

تجليات الالتزام الأخلاقي في شعر محمود سامي البارودي

ولد محمود سامي البارودي (١٩٠٤م - ١٣٢٢هـ) في القاهرة، وهو من الشعراء المصريين المعاصرين، حيث كان يقرأ كتب الشعر والأدب لوحده، من دون أن يتلمس على معلم. فبدأ منذ ريعان شبابه، وعلى خطى القدماء، بقرض الشعر، وكان شعره من النصوص القوية بحيث يضاهي أشعار الشعراء في القرنين الثالث والرابع: خالياً من التكلف، وبديعاً، وحملأً لمعان ثقيلة وألفاظ رائعة وأسلوب رصين. إلا أن أشعاره في آخريات أيامه، لم تكن أخذة وقوية كثيراً بسبب خصود جذوة ذوقه وضعف ذاكرته. البارودي وإن لم يكن مبتكرًا من حيث صياغة المعاني ولم يكن له إبداع في الأسلوب، إلا أنه امتاز بالبراعة في التعبير عن المعاني العميقية بالألفاظ جميلة وبهيجية، وأحيا الفخر والملحمة والوصف في العصر المظلم للشعر والأدب، وإنه أول من أنشأ التجديد في الشعر العربي؛ والتتجديد هذا يقوم على دعامتين: تجديد الأسلوب القديم في الشعر من حيث الجزلة والمثانة، وأن الشاعر يجب أن يجسد نفسه وشعبه وبينه وعصره بشكل دقيق وصادق. ألف البارودي إضافة إلى ديوان أشعاره، كتاباً اسمه «مختارات البارودي»، وأورد في كتابه هذا مقتطفات من أشعار ثلاثة شاعرًا من العصر العباسي في شتى الأغراض (بهروز، ١٩٨٠: ٤٣٨). «لقد ابتكر البارودي نوعاً من النقد الاجتماعي عبر فيه عن عيوب المجتمع في إطار الفكاهة والهجاء وبصورة حية ولاقة للنظر، ثم دعا إلى القضاء على تلك العيوب. انتقاداته هذه تعيد إلى الأذهان شعراء عظاماً في العالم من أمثال شكسبير ومولير، كانوا يجسدون بروحهم الفكاهية، مساوى النوع الإنساني ضمن شخصية واحدة أو أكثر في القصص» (آيتى، ٢٠٠٧: ٦٨٤). مع قراءة أشعار البارودي يمكن الاستنتاج بأن شعر البارودي أيضاً بمثابة دفتر ورثت فيه حالاته الروحية وخصائصه الشخصية، بدءاً من روحه الحماسية والقتالية وانتهاءً بصيحاته الثملة وسعيه وراء الملاحم، كلها انعكست في أشعاره، وإلى جانب هذه الخصائص، يموج ديوانه بالترجيمية. يقول عبد الرحمن آيتى: «كفى بالبارودي فضلاً أنه أيقظ الأفكار ودفع بها إلى حياة نابضة ظلت مختفية تحت طلال اللغة العربية. في مصر، كان أول من تألق شعره وكأنه أمنية في أنواع الأدباء، فحوّل الركود الأدبي إلى حركة، ووضع من الأدب المثير، عينة كاملة أمام أعين الناس. وقد اقتبس هذه العينة

ال الكاملة من معانى عصره وأغراضه، والشكل الرصين والقديم للبيان والعروبة»
 (المصدر نفسه: ٦٨٤).

الدعوة إلى الشجاعة وبعد النظر

وَلَسْتُ مِنْ إِنْ دَجَا حَادِثٌ
 جَرَدْتُ نفسي لطلاب العلا
 سَلَّعْنِي المَجَدَ وَلَا تَحْشِمْ

أَقَى زَمَامَ الْأَمْرِ أَوْ فَوَاضَا
 وَالسِيفُ لَا يُرْهَبُ أَوْ يُنَتَّضَى
 فَالْمَجَدُ يَدْرِي أَيَّ سَيفٍ نَضَى

(البارودى، ١٩٩٨: ٣٦٤)

إن البارودي ومن خلال الاستعانة بأسلوب الكنایة، يمدح نفسه على تتمتعه بالعزيمة والإرادة والشجاعة وبعد النظر، ويعلم بأن بلوغ الكرامات والأمجاد يتطلب سعيًا حثيثاً وجهاً كبيراً، ومن هنا، يرى أن المجد والعلا أيضاً يعرفان البارودي، ولذلك، وعبر تشخيص السيف وتصور أن المجد والعلا يتقوان بشجاعة البارودي، يدعى القارئ إلى الحوار مع مكارم الأخلاق، ويصرّح بأن الخصال الإنسانية الحميّدة والفضائل تعرف البارودي وتتعلم في أي معركة وبأي سيف وبسالة وروح قتالية حصل البارودي على هذه الفضائل. يرافق نرجسية البارودي، الوقار والأصالة، بمعنى أن القارئ لا يستطيع ولا يمتعض من قراءة شعر الشاعر. إن النرجسية لدى بعض الشعراء النرجسيين عادة ما تجافي المنطق، لدرجة تحول إلى مجرد كذبة، إلا أن ثناء البارودي على نفسه ونرجسيته، وإن يصاحبها قليل من المبالغة، ليسا بعيدين عن شخصية الشاعر، ذلك لأن البارودي كان معروفاً بين الناس بالشجاعة وفصاحة الكلام، إنه تعلم الأدب واللغة في رحلته إلى بريطانيا وفرنسا، وتدرب على المهارات القتالية في المدرسة العسكرية بفرنسا، وعليه، ليست نرجسيته مجافية للواقع.

الروح الحماسية والاستشهادية والجهادية

الملحمة هي من أقدم الأنواع الأدبية في الأدب العربي وأشدّها إثارةً، ما يدل على ثقافة الشعب وأدبها وحيويته؛ حيث تظهر البسالة والشجاعة، حيث يرد الحديث عن الكيان والوطن، وفي الحقيقة، تتعلق الملحمّة بزمن بلغ فيه أفراد الشعب الوعي المنشود فيعبرون عن تاريخهم بما يتصل بتفسير العالم الابتدائي وعصر الخلقة. في الملحمّة يقع الإنسان في مواجهة الآلهة والعالم المجهول، وهو في حالة معرفة العالم ويطلق تسمية على الذي يتعرف عليه. الملحمّة هي حياة الإنسان في عالم مليء بالأسرار. فليس لدينا الملحمّة البطولية فحسب، بل الملحمّة الفلسفية أيضًا، ولكن في غالب الملاحم القديمة، يرد الكلام عادةً عن ذكريات أبطال بذلوا جهدهم في سبيل

عظمة شعوبهم ومجدها (شميسا، ٢٠٠٧: ٦١). يقول لامارتين حول الملحمه: «الملحمة هي شعر الشعوب في زمن طفولتهم، حين امترج التاريخ والأساطير، الخيال والحقيقة، والشاعر هو مورخ شعبه. في هذا النوع الأدبي، يتعامل الشاعر مع القصص السفهية أو المكتوبة التي ورد فيها سرح البطولات والعواطف والمشاعر المختلفة الخاصة بالناس في عصر ما، ومظاهر الوطنية والتضحيه ومقارعة ما يراه الشعب مثلاً للشّر والفساد. ينبغي لهذا النوع الأدبي أن يصف جميع ذلك كما كان، ولا يتدخل تدخلاً مباشراً فيما يصفه، ولا يحكم بنفسه على هؤلاء الأشخاص أو تلك الأحداث» (شميسا، ١٩٩١: ٦١).

وَأَسْرِي وَالْحَاظِ الْكَوَاكِبِ نُؤْمُ
لَدَى الْحَرْبِ إِلَّا رَيْتَمَا أَنْكَلُمْ
نَهِيَتِ الْعِدَا وَالشَّرُّ عُرِيَانِ أَشَامْ
وَأَوْيِي إِلَى الْضَّيْقَانِ وَاللَّئِنُ أَدْهَمْ
حُسَامْ وَطَرْفُ أَعْوَجِي وَلَهْمُ
لِسَانٌ وَبُرْهَانٌ وَرَايِي مُحَكُمْ
وَلَا بِالذِّي إِنْ أَشْكَلَ الْأَمْرُ يَغْعُمْ
كَعْرِبْ لَسَانِي حِينَ لَمْ يَبْقَ مُقْدُمْ
وَإِنْ قُلْتُ حَيَانِي شَبِيبْ وَأَكْلُمْ

(البارودي، ١٩٩٨: ٥٤٩/٣)

أَسِيرُ وَأَنْفَاسُ الْعَوَاصِفِ رُكَّذْ
وَمَا بَيْنَ سَلَ السَّيْفِ وَالْمَوْتِ فُرْجَةٌ
أَنَا الْمَرْءُ لَا يَتَبَيَّهُ عَمَّا يَرْوَمُهُ
أَغْبَرُ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالصُّبْحُ أَشَهَبُ
وَيَصْبِرُنِي فِي كُلِّ رَوْعِ ثَلَاثَةٌ
فَمَا أَنَا بِالْمَعْمُورِ إِنْ عَنْ حَادِثٍ
لَسَانِي كَعْلِي فِي الْمَقَالِ وَصَارِمِي
إِذَا صُلْتُ فَتَتَّنِي فِرَاسُ بِشِيخَهَا

إن تركيبي «أنفاس العواطف» و«الحظ الكواكب» إضافة إلى تشخيص الأمور غير ذات الروح فيهما، يدلان على استعارة جميلة استخدمت للعاصفة والنجوم، والنفس والعيون، ونسب إليها الشاعر وصف النوم، في حين أن مفردة «النوم» في حد ذاتها «استعارة تصريحية» لأنغمار النجوم مع بزوغ الفجر. يقوم البارودي بتجسيد السيف والقلم جنباً إلى جنب معاً في شعره، وينظر براعته في كلا المجالين، ولكن يرى في البيت الثاني من هذا القسم من أشعاره، أن قوة بلاغته تبلغ درجة ثباعدة معها بين السيف والموت في ممعنة القتال، في حين أنه في الحرب، يكون الموت والسيف بعضهما بجوار بعض. في هذا البيت هو الآخر، هناك استعارة مكنية في تركيب «سل السيف»، ذلك لأن الشاعر قد شبَّه السيف بنهر جارٍ، وكذلك في البيت، أسلوب «كنية»، لأنه توجد إشارة إلى قوة البلاغة وتأثير كلامه. في البيت الرابع، يتصاحب الغضب والضجيج مع اللين والحنان والمودة، ويعتقد البارودي بأنه عندما يغيرون على العدو في ممعنة المعركة، تؤوي تلك الروح العاصية على العدو عند الليل، الضيوف وأبناء السبيل، ولذلك، فإن أبرز المحسنات، أي المقابلة والطريق

يُظْهِرَانْ عَبْرَ مُوَاجِهَةِ الْكَلِمَاتِ الْمُتَضَادَةِ «أَغَيْرُ وَأَوْيُ» «عَلَى وَالِّي» «اللَّيلُ وَالصَّبَحُ» فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَيُؤْثِرَانْ مَفْهُومَيِّ الْبِسَالَةُ وَاللِّيْنُ، بِأَفْضَلِ الْمُوتَفَقَاتِ وَأَحْسَنِ الْأَفْلَاطُ وَالْأَشْكَالِ. فِي الْبَيْتِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا الشِّعْرِ، يُلَاحِظُ التَّوْحِيدُ بَيْنَ النَّفَوذِ الْمُحِيرِ لِـ«السَّيفِ» وَـ«الشِّعْرِ» عِنْدَ الْبَارُودِيِّ، حِيثُ كَلَاهُمَا قَاطِعُ، وَلَهُمَا قَوْةٌ نَفَوذُ عَالِيَّةٌ. نَظَرَةُ الْبَارُودِيِّ إِلَى الشِّعْرِ نَظَرَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ وَحُسْنَيَّةٌ، وَلَا تَخْدُمُ نَرْجِسِيَّةُ الْبَارُودِيِّ الْأَطْمَاعُ الْشَّخْصِيَّةُ وَالتَّكْسُبُ وَالتَّدْمِيرُ، فَهَذِهِ النَّظَرَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ وَالْإِنْسَانِيَّةُ، تَحْمِلُ فَكْرَةَ وَرَسَالَةَ أَخْلَاقِيَّتِينِ مَهَدَّتَنِ لِنَهْضَةِ عَظِيمَةٍ فِي الشِّعْرِ. يَقُولُ يَا كُوبِسُونَ: «لَا تَنْ يَا نَوْ، لَا شَكْلُوْفُسْكِيُّ، لَا مُوكَارُوْفُسْكِيُّ، وَلَا أَنَا، لَمْ نَعْتَقِدْ بِأَنَّ الْفَنَّ دَائِرَةً مَغْفَلَةً، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ أَظْهَرَنَا أَنَّ الْفَنَّ قَطْعَةً مِنْ تَنْظِيمَاتِ الْمَجَمِعِ، وَعَنْصَرٌ تَابِعٌ لِغَيْرِهِ مِنْ الْعَانِصِرِ، عَنْصَرٌ قَابِلٌ لِلتَّغْيِيرِ، وَلِهَذَا السَّبِبِ، نَهْتَمْ دَائِمًا بِالْعَالَمَاتِ الْجَدِلِيَّةِ بَيْنَ الْفَنِّ وَبَيْنَ أَيِّ بُنْيَةٍ اِجْتِمَاعِيَّةٍ أُخْرَى. إِنَّ الَّذِي نَوْكَدْ وَنَعْتَمِدْ عَلَيْهِ لَيْسَ فَصِلُّ الْفَنِّ عَنِ الْمَجَمِعِ، بَلْ هُوَ الْحَفَاظُ عَلَى الْاسْتِقْلَالِ الذَّاتِيِّ لِلْجَانِبِ الْجَمَالِيِّ لِلْفَنِّ» (شَفِيعِيُّ كَدْكَنِيُّ، ٢٠١٢: ٣٩). يُمْكِنُ القُولُ بِأَنَّ «حَسْنَ اِخْتِيَارِ الْمَفَرَدَاتِ» وَـ«الْأَدَبِيَّةِ» أَوْ عَلَى حِدَّةِ تَعْبِيرِ شَفِيعِيُّ كَدْكَنِيُّ «قُوَّةُ اِسْتِحْضَارِ الْكَلِمَاتِ» (الْمَصْدُرُ نَفْسَهُ: ٧٨) «هُوَ مَسَأَةُ إِثْرَةِ الْبَنِيَّةِ الْفَنِيَّةِ. إِنَّ الْوَزْنَ وَالْفَاقِيَّةَ وَالرَّدِيفَ وَالْتَّشْبِيهَ وَالْاِسْتِعَارَةَ وَالْجَنَاسَ وَجَمِيعَ الْأَدَوَاتِ الْمُوجَوَّدةِ فِي الْأَعْمَالِ الْأَدَبِيَّةِ، تَنَقَّدُ قَدْرَتَهَا وَنَشَاطَهَا تَبَعًا لِـ«الْتَّكَرَارِ»، وَوَاجِبُ الْكَاتِبِ وَالشَّاعِرِ يَحْتَمُّ عَلَيْهِمَا أَنْ يَنْشُطُوهُنَّ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ» (الْمَصْدُرُ نَفْسَهُ: ٦٠). يَعْتَبِرُ الْبَارُودِيُّ الْمَعْنَى ذَا قَيْمَةِ خَاصَّةٍ، وَمِنْ وَجْهَةِ النَّظرِ هَذِهِ، يَشَاطِرُ دُوْسْتُوِيفِسْكِيُّ الرَّأِيِّ، لَأَنَّ كُلَّهُمَا يَعْبِرُانْ اِنْتِبَاهَهُمَا لِوُجُودِ الْلَّفْظِ وَالْمَحْتَوِيِّ فِي الشِّعْرِ. «فِي كِتَابَاتِ دُوْسْتُوِيفِسْكِيِّ، يَقْعُدُ الشَّكْلُ وَالْمَحْتَوِيُّ أَحْدَهُمَا بِجُوارِ الْآخَرِ، وَيُسِيرُانْ فِي خَطِّ مُتَوَازِ» (الْمَصْدُرُ نَفْسَهُ: ٦٥).

نَمُ الْحَسَدُ

الْحَسَدُ مِنَ الْحَالَاتِ الْفَنْسَانِيَّةِ الَّتِي يَتَمَنِي فِيهَا الْحَاسِدُ زَوَالَ النَّعْمَةِ عَنِ غَيْرِهِ، وَالنَّارُ الَّتِي يَشْعُلُهَا الْحَسَدُ، يَصْلِي بِهِ الْحَاسِدُ نَفْسَهُ أَوْ لَاَ ثُمَّ الْمَحْسُودُ ثَانِيًّا، وَتُنْقَدُ وَجُودُ الْحَاسِدِ الْهَدْوَةُ وَالسَّكِينَةُ. إِنَّ الْحَسَدَ مَرْضٌ نَفْسِيٌّ خَطِيرٌ يَصَابُ بِهِ أَغْلَبُ النَّاسِ، وَإِنَّمَا يُمْكِنُ لِأَصْحَابِ الْضَّمَائِرِ الْحَيَّةِ قَطْ أَنْ يَكُونُوا بِمَعْزِلٍ عَنْهُ. إِنَّ الْحَاسِدَ يَعْرِضُ الْمَحْسُودَ لِخَطِيرِ الْفَنَاءِ وَالْعَدَمِ، وَمَعْظَمُ أَفْرَادِ الْمَجَمِعِ يُصَنَّفُونَ ضَمِّنَ أَحَدِ الْوَضَعِينِ، وَحِينَما تعرَّضُ أَغْلَبُ أَفْرَادِ الْمَجَمِعِ لِلْخَطِيرِ، يُسْتَبَعِدُ دِيْمُوْمَةُ الْحَيَاةِ وَبِقَوْهَا لَدِيِّ ذَلِكَ الْمَجَمِعِ (صَدَرُ، ١٩٩٩: ٤١). يَيْشَأُ الْحَسَدُ عَنِ الْأَنَانِيَّةِ، وَالْأَنَانِيَّةُ تَبِعُ النَّرْجِسِيَّةِ، وَلَيْسَ النَّرْجِسِيَّةُ عِنْهَا، ذَلِكَ لَأَنَّ الشَّخْصَ قَدْ يَكُونُ نَرْجِسِيًّا، لَكِنَّ لِلنَّرْجِسِيَّةِ هَذِهِ جُذُورًا فِي الْمَثَالِيَّةِ وَالْكَمَالِيَّةِ لِذَلِكَ الشَّخْصِ التَّرْجِسِيِّ، وَكَذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ تَهْيَئَ إِصَابَةُ الشَّخْصِ النَّرْجِسِيِّ بِالْحَسَدِ وَالْغَضَبِ وَالْكَرَاهِيَّةِ وَالْإِسَاعَةِ وَالْسَّبِّ.

لَكُنْتِي غَرَضٌ لِأَسْهُمْ حَاسِدٍ
مِنْ غَيْرِ مَا ذَنَبْ جَنِيْتُ، وَ إِنَّمَا
وَارِي الْجَوَانِحِ مِنْ لَهِيْبٍ عِدَائِي
بُغْضُ الْفَاضِلَةِ شِيمَةُ الْجُهَلَاءِ
(البارودي، ١٩٩٨ / ١٣١)

إن «مراعاة النظير» و«المذهب الكلامي» هما من جملة المحسنات المهمة المتوفرة في البيتين.

فَقَدْ يَحْسُدُ الْمَرْءُ ابْنَهُ وَهُوَ نَفْسُهُ
وَرْبُّ سِوَارٍ ضَاقَ عَنْ حَمْلِهِ الْعَضْدُ
(المصدر نفسه: ١٣٣)

كذلك في هذا البيت، يوجد «المذهب الكلامي»، وكذلك «التشبيه الضمني»، لأن الشاعر يشبه الإنسان الحاسد بعهد لا يتحمل حتى وزن السوار، تماماً كالآب الحاسد الذي لا يقدر، من شدة حسده، على تحمل وجود ابنه على وجه الأرض. هناك «مجاز مرسل لغوي» بالعلاقة الكلية في مفردة «العهد»، لأن المراد بها هو المعصم أو الساعد، إلا إذا كان المقصود هو عصابة العهد، فحينئذ يكون معنى «العهد» حقيقياً.

الوفاء بالعهد

إِنِّي إِذَا مَا خَلُّ خَاسَ بِعَهْدِهِ
وَ إِذَا عَتَبْتُ عَلَيْهِ تَمَشَّ لَمْ يَعْدُ
بعد الوداد فَلَسْتُ مِنْ أَصْحَابِهِ
عَنْ غَيْرِهِ لَمْ كَثُرْتُ لِعَتَابِهِ
(المصدر نفسه: ١١١)

كلا الشاعرين ومن خلال ذمتهما لنقض العهد، يعتبران أنفسهما ملتزمين بالعهد. ويفخران بذلك، ويتوقعن من أصدقائهم ومعارفهم أيضاً أن يكونوا أوفياء بعهودهم.

ثبات الشخصية

وَلِلْتَّحْجُجِ أَسْبَابٌ إِذَا لَمْ يُفْزِ بِهَا
وَمَا أَنَا بِالْمَغْلُوبِ دُونَ مَرَامِهِ
وَمَا أُبْتُ بِالْحَرْمَانِ إِلَّا لِأَنَّنِي
**
وَلِلْتَّحْجُجِ أَسْبَابٌ إِذَا لَمْ يُفْزِ بِهَا
أَبْيَ الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَسُودَ وَضِيَعَهُ
تَدَاعَتْ لِدْرُكِ التَّهَارِ فِينَا ثَعَالَهُ
فَحَمَّامَ نَسْرِي فِي دَيَاجِيرِ مَحْنَةٍ

لِبِيبٍ مِنَ الْفَتَيَانِ لَمْ يُورِ رَنْدَهُ
وَلَكَنَّهُ قَدْ يَخْذُلُ الْمَرْءَ جَهَدُهُ
أَوْدُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُهُ
صَاحِبُتْ زَمَانًا لِيُغْضِبُ الْحُرَّ عَبْدُهُ
وَيَمْلِكُ أَعْنَاقَ الْمَطَالِبِ وَغَدُهُ
وَنَامَتْ عَلَى طُولِ الْوَتِيرَةِ أَسْدُهُ
يَضْيِيقُ بِهَا عَنْ صُحبَةِ السَّيْفِ غِمْدُهُ

عَلَيْهِ فَلَا يَأْسِفُ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ
أَضَرَّ عَلَيْهِ مِنْ حَمَامٍ يَوْدُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجُورِ إِنْ سَطَّ
وَمَنْ ذَلَّ حَوْفَ الْمَوْتِ كَانَتْ حَيَاةً

يُسِيءُ وَيُثْلِي فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ
أَيْفَرُخُ فِي الدِّينِ بِيَوْمٍ يَعْدُهُ
كُذِي جَرَبٍ يُلْتَدُ بِالْحَكَّ جَلْدُهُ
إِلَى وَرَرٍ يَحْمِيهِ أَرْدَاهُ مَدْهُ
بِهَا بَطْلًا يَحْمِي الْحَقِيقَةَ شَدْهُ

وَأُقْتُلُ دَاءِ رُؤْيَا الْعَيْنِ ظَالِمًا
عَلَامٌ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلًا
يَرَى الصَّنِيمَ يَعْشَاهُ فَيُلَدُّ وَفَعَهُ
إِذَا الْمَرْءُ لَاقَ السَّيْلَ ثَمَّتْ لَمْ يَعْجُ
عَفَاءً عَلَى الدِّينِ إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْشُ

(المصدر نفسه: ١١٥ / ١)

من أهم الرسائل الأخلاقية لهذا القسم من أشعار البارودي، تخصي الحقيقة، ومقارعة الظلم، وعدم السكوت في وجه اللاعدالة، وعدم القبول بالذلة والهوان، حيث أنه وبالرغم من توافر طابع الحكم والعظة، يعتبر الشاعر نفسه منزهاً عن الاتصاف بهذه الأوصاف، وإنه بصدق ذم الذين يتسمون دائماً بهذه الخصائص الإنسانية الذميمة. في هذا الجزء، نتناول بالدراسة بعض المحسنات الأدبية الموجودة في هذه القصيدة للبارودي لكي نتمكن من الاطلاع أكثر على التجليات الأدبية لعنصر النرجسية لدى هذا الشاعر الترجسي:

* تقديم المسند على المسند إليه: في عبارة «للنجاح أسباب» فقد تم تقديم المسند على المسند إليه بسبب إيجاد الشوق وإثارة حب الاستطلاع في ذهن المتنقي، لكي يتلهف المستمع لسماع ما تأخر (المسند إليه).

* تخصيص المسند إليه بالمسند: في عبارة «وما أنا بالغلوب دوم مرامه» فقد اختص المسند إليه بالمسند حتى ينفي الشاعر حكم الهزيمة والفشل عن نفسه ويثبته لغيره، والإتيان بـ«أنا» في مقام المسند إليه يدل على الحصر.

* المذهب الكلامي: في بيت «وَمَا أَبْتُ بِالْحِرْمَانِ إِلَّا لَأَتَّبِي أَوْدَ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ»، يوجد المذهب الكلامي، ذلك لأن الشاعر يثبت مبدأ أخلاقياً هو عدم اليلأس في مواجهة المشكلات، بالبرهنة العقلية، وهي أنه لا يخنع للحرمان والهزيمة، لأنه يحب مراتات الأيام متلماً يحب لذتها.

* هناك أسلوب كناية في البيت الثالث الذي مر ذكره، لأن الشاعر يشير إلى العزيمة الراسخة ورباطة جأشه تجاه نواب الدهر.

* الإدماج والمذهب الكلامي: يشير الشاعر في بيت «فَإِنْ يَأْكُلْ فَارَقْتُ الرَّضَا فَلَبَعْدَمَا صَاحِبْتُ زَمَانًا يُعْضِبُ الْحُرَّ عَبْدَهُ» إلى أنني ابتعدت عن الهباء والسعادة في أيام كان فيها العبد يثير حفيظة الإنسان المتحرر، وقد انقلب الموازين، فلا غرو أن حالى

أصبح هكذا. وتبعداً لسعي الشاعر لإثبات موقعه وإعطائه صورة اجتماعية عبر برهنة عقلية ومنطقية، يشير كذلك إلى المكانة الاجتماعية والسياسية والثقافية الحرجة لعصره أيضاً، ويُدرج في عمق كلامه تشبيهاً ضمنياً، وهو تشبيه نفسه بالإنسان المتحر وتشبيه الدهر بالعبد، ووجه الشبه فيه هو الحط من قدر الدهر العاصي وأحداثه في مواجهة عزيمته التي لا تنتهي.

* هناك استعارة وكنية في مفردي «الشعال» و«الأسد» في البيت السادس، حيث يُعتبران على التوالي، استعارة لـ«إنسان خادع وضعيف» و«إنسان شجاع وباسل»، وهذا البيت كنية عن الأوضاع السياسية والاجتماعية المتردية السائدة على عصر الشاعر، حيث أن الأسد مع ما له من قوة، أصبح راقداً وعاجزاً، وصار الثعلب ذا جاه وسلطة، والشاعر يعرب عن حسرته وحزنه لهذا الموقف، ويهدف من وراء إنشاد هذا البيت وذكر المسند والمسند إليه، إنذار الأناس العاقلين وتنبئهم وإيقاظهم.

* الاستبطاء والاستثناء بسبب الإنذار بالخطأ والسير على الطريق غير الصحيح وتضليل الآخرين، في بيت «فَحَتَّامَ سُرْيٍ فِي دَيَاجِيرِ مَحْنَةٍ/ يَضِيقُ بِهَا عَنْ صُحبَةِ السَّيْفِ غَمْدُهُ» دلالة على كون كلام الشاعر استفهامياً وإنمائياً، وكذلك يعرب الشاعر عن شعوره بالإرهاق والحسنة واليأس من استناد عود الحمق والخنوع للظلم، فإن الشاعر هنا يستمد بالاستفهام في أثناء الإخبار.

* يوجد تشبيه ضمني في البيت السابع، حيث أن الشاعر يرى نفسه كسيف ضاق به الذرع في أيام مظلمة ومحزنة ومشحونة بالاضطهاد كغمد السييف.

* أما الاستعارة في عبارة «دياجير المحنّة»، فقد خافت تشبيهاً جميلاً يشبه الآلام الإنسانية بليل دامس ومهول، وجده الشبه هو ضياع الطريق، ثم يقوم الشاعر بحذف المشبه به، والإتيان بالمشبه مع إحدى صفات الليل وهي «الدياجير: شدة ظلمة الليل». يمكن القول بأن مفردة «السييف» استعارة للإنسان الصاحي والباسل، أي الشاعر نفسه، و«الغمد» استعارة لأيام الشاعر المرة.

* يوجد تشخيص واستعارة في تركيب «يد الجور».

* هناك تشبيه ضمني وأسلوب كنائية في البيت الثاني عشر، لأن الشاعر قد شبه إنساناً غافلاً سكت في وجه الظلم وهو يشعر بالرضى، بمريض مصاب بالجرب، لكنه راضٍ عن إصابته بذلك المرض، وكذلك ورد تشبيه ضمني آخر في البيت الثالث عشر، لأن الشاعر يقيم علاقة بين هجوم الظلم والاضطهاد وتحمل الذلة والهوان، وبين حدوث فيضان عظيم، وقد التزم الصمت حيالها، وهذا الفيضان يشتد لحظة بعد أخرى، ولا يمكن احتواوه، وهذا التشبيهان كنائية عن الظروف العصيبة والأوضاع الاجتماعية والسياسة والثقافية والشعور بسخط الشاعر واستيائه من الوضع الراهن.

* يوجد مجاز مرسل لغوي في البيت الأخير في كلمة «شدّ» بمعنى «السادع والعضد»، والعلاقة إما سببية من حيث أن العضد القوي من شأنه دفع المشكلات، أو جزئية، من حيث أن العضد هو جزء من جسد الإنسان المنتقم، حيث أنه بالإضافة إلى القوة الجسمية، يتطلب قوة العقل والفحص للإنسان الوااعي من أجل مقارعة الظلم.

استخدام المحسنات اللفظية بالقدر المعقول، يجعل الكلام الميت حيًّا، وهذه الاستعارات والكنايات والتشبيهات والصور تضاعف تأثير الكلام، وتضفي على الكلام وجهاً جماليًّا. يترابط الفظ والمعنى ترابطًا عميقاً لأجل تبليغ مهمة الشعر إلى ذهن المستمع وروحه. يقول كروتشه نيخ¹ نقلاً عن كدكni: «نحن نعتقد بأن الشعر في كلماته أوسع رقةً منه في معانيه. فالكلمات (والأصوات التي تخلقها) ليست فقط معاني موجزة أو منطقية، بل تفوق كل ذلك، فهي فوق عقلانية²، أي مليئة بالأسرار وجمالية. إن الكلمة فوق العقلانية التي هي لغة فنية، تذهب إلى ما وراء العقل، وتخاطب الملائكة غير العقلانية للإنسان» (شفيعي كدكni، ٢٠١٢: ١٣٩). للشعر والأدبية قوة هائلة، فبإمكانهما الذهاب إلى ما هو أبعد من العقل، وجعل ما وراء العقل قابلاً للفهم وللموسى عبر التشبيهات والاستعارات، إلا أن تدافع المحسنات الأدبية أيضاً من شأنه أن يأتي بنتيجة عكسية فيقلل من أدبية الشعر.

الابتعاد عن النمية، البخل، الحسد، والعداء للآخرين، والإسراف

نَازْ مُحَرَّقَةً لَيْسَتْ لَهَا شُعلَةٌ
إِنَّ الْعَدَاوَةَ جُرْحٌ لَيْسَ يَنْدَمِلُ
فَرِبَّمَا كَانَ فِي إِفْشَائِهِ الرَّللُ

إِنَّ النَّمِيمَةَ وَالْأَفْرَوَاهَ ثُصْرُمَهَا
وَاحْدَرْ عَدُوَّكَ شَلْمٌ مِنْ حَدِيعَتِهِ
وَعَلِيجَ السِّرَّ بِالْكِتْمَانِ تَحْمَدُهُ

فَبَنَسَتِ الْخَلَّةُ الْإِسْرَافُ وَالْبَخْلُ
لَا يَنْتَهِ الشُّغْلُ حَتَّى يَنْتَهِي الْأَجْلُ
فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يَحْسُنُ الْعَمَلُ

وَلَا تَكُنْ مُسْرِفًا غَرِّاً وَلَا بَخْلًا
وَلَا يَهْمَلْكَ بَعْضُ الْأَمْرِ شَنَامَهُ
وَاعْرُفْ مَوَاضِعَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ عَمَلٍ

(البارودي، ١٩٩٨: ٣/١٦٨)

كما نعلم، فإن الرذائل الأخلاقية مثل النمية، والبخل، والحسد، والعداء للآخرين، والإسراف، تم تقديرها دائمًا في القرآن والإسلام على أنها نمية وجالبة للمفاسد، و«النميمة بين المسلمين حرام، وبل هي من الكبائر» (النجفي، جواهر الكلام: ٢٢/٢٣). وقال الإمام الباقر عليه السلام: «محرمة الجنة على الفتاتين المشائين بالنمية»

1- Krucenych

2- Transrational

(الклиني، الكافي: ٣٦٢ / ٢). فهذا البارودي يدعو الجميع إلى تجنب هذه الرذائل الأخلاقية، ويرى أن النمية نار لانتهياً ألسنتها، ويعتبر العداء والخصومة كجرح يستعصي على العلاج، ويشجع الإنسان دوماً على كتمان الأسرار، ويجنبه الإسراف والبخل.

الدعوة للصبر والجلد

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَعَابٌ وَلَا نُكْرِ
عَلَى كَرَمِ الْأَخْلَاقِ مَا حُمِدَ الصَّبَرُ

صَبَرْثُ وَمَا بِالصَّبَرِ عَارٌ عَلَى الْفَقَهِ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّبَرِ أَعْدُلُ شَاهِدٍ

(البارودي، ١٩٩٨ : ٨٢ / ٢)

لقد أضفي تكرار الحرفين «ص» و«ع» تأثيراً هائلاً على موسيقى الكلام. يخلو شعر البارودي من الحشو والتناور والتعقيد اللغطي والمعنوي، ولهذا، فقد جعل الانسجام وسهولة اللفظ كلامه أخذاداً وفصيحاً. إن البارودي وعبر وصف الصبر والجلد ومدحهما، يتنبي على نفسه في الحقيقة لامتلاكه هذه الخصيصة الأخلاقية، ويوحي للمنافق بأنه صبور، وصبره يليق به.

العفة والخشمة

تَعْضُّ بِذِكْرِي فِي الْمَحَافِلِ أَوْ تُزْرِي
وَعُدْتُ وَلَمْ تَعْلُقْ بِفَاضِحَةِ أَزْرِي
وَلِلنَّاسِ أَخْلَاقٌ عَلَى وَفْقِهَا تَجْرِي
فَعِشْتُ بِرَيْءَ النَّفْسِ مِنْ دَنَسِ الْعُذْرِ
لَقِيتُ عَذْوَيِ بِالْطَّلَاقَةِ وَالسِّرْ

عَلَى أَنَّنِي لَمْ آتِ فِي الْحُبِّ رَلَةً
وَلَكِنِّي طَوَّفْتُ فِي عَالَمِ الصِّبَا
سَجِيَّةً نَقِسٌ آتَرْتُ مَا يَسُرُّهَا
مَلَكْتُ يَدِي عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَطْقِي
وَأَحْسَنْتُ ظَنِّي بِالصَّدِيقِ وَرُبَّما

(المصدر نفسه: ١١ / ٢)

إن العفة والتغلب على الأهواء النفسانية تعدّ فضيلة كبيرة في الإسلام والقرآن، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أشجع الناس من غالب هواء» (المجلسى، لات: ٧٠ / ٢٦٥). يعتبر الشاعر نفسه نبياً للأخلاق والمودة والصادقة، ويرى أن الشعر أداء بيده لتبلیغ الحكم والمواعظ. لا أثر للكذب والاحتقار وتدمير شخصية الغير في أبعد النرجسية لدى البارودي، وليس الشعر وسيلة لدى الشاعر لبلوغ أمانه وآلية دفاعية للثار من أعدائه، وهذا ينم عن الفكر والثقافة الغنيبتين للشاعر. يستخدم البارودي حيلاً أدبية في معرض تعبيره عن مفاهيمه المليئة بالحكم، ولا يتغافل عن المحسنات اللفظية والمعنوية. والاستعارة والكلنائية هما محسنان يغلبان على هذا القسم من أشعار البارودي. في البيت الثاني، نشهد استعارة تصريحية تبعية. يُعتبر فعل «طَوَّفْتُ»

استعارةً لـ «ذكرُثُ»، حيث أَن الشاعر قد شبَّه «استذكار الذكريات ومراجعتها» بـ «الطواف». في عبارة «وَلَمْ تَعْلُقْ بِفَاضِحَةٍ أَزْرِي»، يوجد أسلوب كناية، وفيها إشارة إلى عفة الشاعر واحتشامه. في البيت الرابع هناك تضاد بين «برئ» و«بنس»، وكذلك هناك مراعاة نظير بين «اليد» و«المنطق»، وهذا التناقض وذاك التضاد يزيد من تأثير كلام الشاعر. هناك تضاد في الأبيات اللاحقة بين أزواج «الصديق والعدو» و«السعيد واللدو» و«العسر واليسر».

العقل والحكمة والدعاوة إلى التبصر

«إن الحكمة الكلامية الموجزة والفصيحة هي التي تشتمل على عظة أو نصيحة نافعة أو نظرة تفكيرية إلى الكون والحياة» (الطالب، ١٩٨٥: ١١٨). في رأي هيغل العمل الفني مأخوذ من نبضات روح الفنان والقيم المعنوية. كلما كان سمو الفنان ونزاهته أكثر، وجب عليه تجسيد أعماق الخواطر والروح بشكل أكثر أساسية. الشيء الجميل جميل حقاً فيما إذا كان معالجاً للروح. الواجب الأفضل للفن الجميل هو أن يستطيع إظهار عنصره الإلهي مقبولاً، ويعمل على أدائه (انظر إلى هيغل، ٢٠١٩: ٢٩-٣٥، ٦٤-٦٧). يرى نظام طهراني بأن الحكمة في شعر بعض الشعراء «يمكن أن تكون المقتبسة من حوادث الأيام» (نظام طهراني، ١٣٩٣: ١٦٩ - ١٧٥) إن التكرار الكثير للحكم والمواعظ في شعر البارودي وتواضع الشاعر ومشاعره، قد غطت على الوجه النرجسية للبارودي، ويدل ذلك على الهواجس الإنسانية المهمة لديه:

أَسْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حُرْيَةِ الْعَمَلِ
أَهْلُ الْعُفُولِ بِهِ فِي طَاعَةِ الْحَمَلِ

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بِاقِيَةً
لِكَنَّا غَرَضُ اللَّئَرِ فِي رَمَنِ

أَدْهَى عَلَى النَّفْسِ مِنْ بُؤْسٍ عَلَى ثَكَلِ
قَرَاعَدُ الْمُلَكِ حَتَّى ظَلَّ فِي خَلِ

فَامَتْ بِهِ مِنْ رَجَالِ السُّوءِ طَائِفَةً
ذَلَّتْ بِهِمْ مِصْرُ بَعْدَ العِزْ وَاضْطَرَبَتْ

بَعْدَ الْإِبَاءِ وَكَانَتْ رَهْرَةُ الدُّولِ
غَيْظَاً وَأَكْبَادُهُمْ تَنَقُّدُ مِنْ دَعْنِ
فَالشَّمْسُ وَهِيَ ضَيَاءُ آفَةِ الْمُقْلِ
وَأَخْلَأَهُ الرَّوْضِ تَأْبَى شَيْمَةَ الْجُعلِ

وَأَصْبَحَتْ دَوَلَةُ الْفُسْطَاطِ خَاضِعَةً
قَوْمٌ إِذَا أَبْصَرُونِي مُقْبِلاً وَجَمُوا
فَإِنْ يَكُنْ سَاءَهُمْ فَضْلِي فَلَا عَجَبٌ
رَرَّهُتْ نَفْسِي عَمَّا يَدْنُسُونَ بِهِ

(البارودي، ١٩٩٨: ٣/١٥)

في جميع أبيات البارودي نلمس أبعاد النرجسية على شكل استخدام ضمير «أنا» وضمير «ثُ» المتصل. إن المحسنات الغالبة المستخدمة في هذا القسم من أشعار

البارودي هي: الكنية وفيها إشارة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية المتردية في عصره، بالإضافة التشبيهية في تركيب «صواعق الغدر» أضفت على الشعر صبغة جمالية. بالإضافة إلى المحسنات اللفظية والمعانوي الرصينة والأصيلة في شعر البارودي والتي تحمل رسالة أخلاقية وتربوية، فإن النقطة الأخرى المثيرة للتأمل هي موضوع «العاطفة» الذي يوجه اللفظ والمعنى، وفي الحقيقة، عاطفة الشاعر ومشاعره المخلصة رأس مال ضخم يعطي للشاعر جرأة الإنشار والوجود. يقول شفيعي كدكني في كتابه «بعث الكلمات»: «أحياناً قلماً يتفق أن تساهم العوامل العاطفية لموضوع جمالي، مشتركةً في عمل بأكمله، بل على العكس وبشكل طبيعي، هناك عامل واحد يتقدم إلى الأمام ويتولى الدور القيادي، ويبداً غيره من العناصر بالمساهمة إلى جانب الوجه الغالب، ومن خلال انسجامها تمنح العمل الفني قوة من الداخل، ومن منطلق مجابهها ببعضها بعضاً، تعمل على تعزيز العمل، وتحيطه بوظائفها المختلفة. الوجه الغالب الدور نفسه الذي يحمله الهيكل العظمي للجسد الحي والعضواني المحتوى على جميع المكونات، فيقوم بدعم هذا الكل، ويدخل إلى حيز التنفيذ بالاتصال بها» (شفيعي كدكني، ٢٠١٢: ٢٠١٢). المصدر الأول للحكمة، تجارب الإنسان وتأملاته في ماضي الكون وحاضرها. بطبيعة الحال، قد تكون مصادرها مجالات أخرى كالفلسفة والوحى والسماء والقوانين والتعاليم الدينية والقيم الأخلاقية (طليمات، ٢٠٠٢: ٢٠٠٢).

دور النرجسية في سياق النماذج التربوية - الأخلاقية في الشعر العربي المعاصر

يظن البعض أن النرجسية لا تعود أن تكون بمعنى الأنانية، والشاعر النرجسي له شخصية معجب بنفسها أمسكت بالقلم للتباكي بنفسها أو بقدرتها، لكنني أعتقد بأن «النرجسية الصحية» هي السر الكامن وراء عزة النفس والمثالية، وليس حصيلتها سوى التودد والسلامية. وفقاً للدراسات التي أجريت على عوامل ظهور المشكلات الاجتماعية ونشوء شتى أنواع الجرائم، يجب البحث عن جذور الفقر الثقافي والاجتماعي وحتى الاقتصادي، لدى الذين لديهم شعور سيء تجاه أنفسهم ولا يستطيعون أن يعاملوا أنفسهم باحترام. يصطبغ هذا المفهوم في العصرين الجاهلي والعباسي غالباً بصبغة الأنانية، فكان الشاعر النرجسي، ومن خلال ثقته الكاذبة بنفسه والإسقاط النفسي، يسعى إلى كسب ثقة النساء أو القبيلة أو الآخرين. وهذا النوع من النرجسية مجرد خطأ يجرّ به الشاعر نفسه أو لا ثم غيره إلى هاوية الهالك عبر الغرور والحسد وتدمير الآخرين واحتقارهم، ومن هنا، فإن المراد بالنرجسية ودورها البناء في الشعر الأخلاقي هو «النرجسية الصحية والأدبية». إن الشعراء النرجسيين في العهد العربي المعاصر، يتمتعون بالعزّة والهدف، فقد رأوا الغرب وأجادوا اللغة والأدب وحتى المهارات القتالية، ولهذا، حين يتحدث الشاعر النرجسي

المعاصر عن الشجاعة والبسالة في معرك الكفاح، يضمّهما إلى أجواء من العاطفة والخيال والمحسّنات البديعية، فيكون شعره كلاماً واقعياً وحاماً لرسالة أخلاقية. الشاعر النرجسي المعاصر مقارع للظلم ومتهرب من الظلم، وأهم ما يُقْلِفه هو الوطنية ورفاهية الناس في عصره، ومن هنا، نلاحظ في أشعار البارودي أنه يدعو الناس دائماً إلى اليقظة والصمود، ويعتبر السكوت في وجه الظلم كتجاهل المرض وعدم المبادرة إلى علاجه. إن مفاهيم حافلة بالحكم مثل الابتعاد عن النمية والغيبة والكنب، وتجنب الإسراف والحسد، وامتلاك روح جهادية وحماسية، وغيرها في شعر البارودي منبعثة من ضمير متمنع بالعزّة، وشعره عبارة عن ديوان أدبي بمفاهيم بديعية وسامية. بناء على ما مرّ، ففي تعريف شامل، يمكن القول بأن الشعر النرجسي - الأخلاقي، من وجهة نظر الكاتب «شعر مجيد وخزانة من الحيل الكلامية والأدبية التي تلتزم بالفضائل الأخلاقية، وتتنزه عن الإباحية، والإسقاط النفسي، والغرور، والثقة الكاذبة بالنفس، وخلق الخوف والهلع لدى المتنقي، والسعى لفت الانتباه والجذبية الفتنة، ويموج به دوماً روح التوبيخ والحب للأخرين. وإن الشاعر ومن خلال إشادته بالمعنويات الحماسية والتباكي بامتلاكه لمكارم الأخلاق، والأعمال الرجولية، والمفاخر والبطولات، يعيد الشرف والإنسانية إلى الأذهان، وينبئ المتنقي زعي القتال، لكي يقاتل معه الأخير في معرك الكفاح بين الحق والباطل، ويقوم بتوجيهه الذهن نحو البحث عن الحضارة والثقافة الإنسانية عبر تصوير البسالات بلغة التشبيه والاستعارة والكلامية».

النتيجة

* الشعر فن كلامي ولا يعدو أن يكون جمالاً وجماليات، وذوقاً وخلفاً أدبياً، ومن هنا، فإن الجمال في الشعر يعادل الأدبية والشعور الاجتماعي والالتزام بمكارم الأخلاق.
 * الشعر النرجسي الأدبي ليس مجموعة من الاستعارات والتشبيهات والصور، بل هو مزيج من القيمة الجمالية والقيمة الأخلاقية، وبالإضافة إلى مسألة أدبية الشعر، والإبراز، والخروج عن المألوف، وإضافة المعايير، فإن الثيمة والمعنى لهما دور أساسي في تعزيز المهمة التربوية - الأخلاقية للشعر النرجسي.

* يصاحب مفاهيم النرجسية في العهد المعاصر، بشكل عام، الحكم والمواعظ وصحوة الفكر، ولذلك فإن دور النرجسية الصحية في تقديم النماذج التربوية - الأخلاقية في العهد المعاصر أكثر منه في سائر عصور الأدب العربي. الشاعر النرجسي المعاصر، لا يهتم بحب الظهور ولفت انتباه الآخرين والتفوق على أحد، بل يحمل هموم الوطن وتهمّه مقارعة الاستبداد. وعلى غرار محمود سامي البارودي، فقد تحدّث العديد من الكتاب والنقاد والشعراء من أمثال غسان الكنفاني،

ومحمود درويش (١٩١٤)، وجبرا إبراهيم جبرا (١٩١٩)، وتوفيق السيف (١٩٧١ - ١٩٢٣)، وإلياس خوري (١٩٤٨) في الدفاع عن فلسطين، ولهذا، نلاحظ أنه إذا يتناول الشاعر أو الناقد في العهد المعاصر، وصف المرأة، مثل عمرو بن أبي ربيعة، فذلك ليس بعرض النرجسية وبغية لفت الانتباه وتثبيبة الحاجة إلى لفت انتباه النساء، بل إنه يتحدث للدفاع عن حق المرأة في المجتمع، وإذا يصف الطبيعية، ليس ذلك من أجل الثناء على نفسه وتعدد صفات حميدة مثل التحمل في مواجهة مشاق البدائية، بل يعتبر كل زاوية من الطبيعة رمزاً للحرية والتحرر ومقارعة الظلم. ومن هنا، فكل من الزيتون، والبرتقال، والوردة، والشجرة الخضراء، يرمزان بها إلى النهاضة التحررية والفتح وما شابه ذلك من المفاهيم. في النرجسية الخاصة بالشاعر النرجسي، البارودي، تتمثل معظم المضامين في الإفادة من سبات العفة، والدعوة إلى الكفاح، ومدح الشجاعة والفصاحة، ويشبّه البارودي الناس في عصره إلى مصابين بمرض الجرب والذين تجاهلوه هذا المرض الجلدي، وسكتوهم هذا علامه على رضاهم عن الوضع المتردي للعصر، وإنه يظل يمدح نفسه على أنه ليس لا مبالياً كغيره، ويُفْلقه المظلومون والضلاله السائدة على مجتمع. في هذه الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية، لا مجال لامتناء صهوة جواد سريع، والقيام برقصة السيف، وتعدد خصال محمودة كالسخاء والتضحيه من أجل التباكي، بل الهدف هو الصحة والكافح في مواجهة الاضطهاد المسيطر على المجتمع.

* إن مفاهيم مثل الثناء على الشجاعة والبطولات، ومقارعة الفقر وتجنب الظلم، وأمتلاك الروح الجهادية والاستشهادية، وعدم التعلق بالدنيا ومذاتها، والعفة والحسنة، وتجنب النفيمة والكذب والإسراف، والوفاء بالعهد، والصبر والجلد، والسخاء والكرم هي من أهم مكاسب النرجسية الأدبية والأخلاقية والتي أدت إلى نشر النماذج السلوكية - التربوية في شعر الشعراء النرجسيين العرب المعاصرين. أما محمود سامي البارودي، الشاعر النرجسي الكبير في العهد العربي المعاصر، فمن خلال مدحه للفضائل ونديمه للرذائل الأخلاقية، وجّه نرجسيته في اتجاه النهوض بالرسالة الأخلاقية والتربوية للشعر، وحقق مقارقة جميلة متحصلة من مفهوم النرجسية والشعور بالتعاطف المخلص بالنسبة إلى وطنه وشعبه.

المصادر والمراجع

- آيتی، عبد المحمد (٢٠٠٧م.), تاريخ الديانات عربي «تاريخ الأدب العربي»، طهران: دار نشر طوس.
- إسلامی نوشن، محمد علي (١٩٩١م.), جام جهان بين «الكأس التي يُرى العالم من خلالها»، طهران: جامي.

- سمیث، جویل (۲۰۰۵م)، *فرهنگ اساطیر یونان و روم «معجم الأساطير اليونانية والرومية»*، ترجمه شهلا خسروشاهی، طهران: فرهنگ معاصر.
- البارودی، محمود سامی (۱۹۹۸م)، *دیوان محمود سامی البارودی*، حقه و ضبطه و شرحه علی الجارم و محمد شفیق معروف، بیروت: دار العودة.
- البحیری، عبد الرزاق احمد (۱۹۸۷م)، *الشخصية الترجسية*، القاهرة: دار المعارف.
- بهروز، اکبر (۱۹۸۰م)، *تاریخ ادبیات عرب «تاریخ الأدب العربي»*، تبریز: جامعه تبریز.
- حکمت مهر، محمد مهدی (۲۰۱۹م)، *زیباشناسی هگل و حکمت هنر اسلامی «جمالیات هیغل و حکمة الفن الإسلامي»*، طهران: منظمة منشورات معهد الثقافة والفكر الإسلامي.
- شمیسا، سیروس (۱۹۹۱م)، *أنواع أدبي «الأنواع الأدبية»*، طهران: فردوس.
- شفیعی کدکنی، محمد رضا (۲۰۰۱م)، *شعر معاصر عرب «الشعر العربي المعاصر»*، طهران: سخن.
- (۲۰۱۲م)، *رستاخیز کلمات «بعث الكلمات»*، طهران: سخن.
- الصدر، احمد (۱۹۹۹م)، *دائرة المعارف تشیع «موسوعة التشیع»*، طهران: مؤسسه شط الثقافية.
- الطلال، احمد (۱۹۸۵م)، *المتنبی: دراسة نصوص من شعره*، طرابلس: المكتبة الحدیثة.
- عتیق، عبد العزیز (۱۹۷۲م)، *في النقد الأدبي*، الطبعة الثانية، بیروت: دار النہضة العربية.
- غازی، طلیمات، الأشقر، عرفان (۲۰۰۲م)، *الأدب الجاهلي: قضایا، أغراضه، أعلامه، فونه*، بیروت: دار الفكر المعاصر.
- قربانی، نیما (۲۰۰۵م)، *سبک‌ها و مهارت‌های ارتباط «أساليب التواصل ومهاراته»*، طهران: تبلور.
- الکلینی، محمد بن یعقوب (۱۴۰۷ھـ)، *الأصول من الكافي*، ج ۲، طهران: دار الکتب الإسلامية.
- المجلسی، محمد باقر (۱۹۸۹م)، *بحار الأنوار*، ج ۷۰، بیروت/لبنان: دار الأحياء التراث العربي.
- (۱۹۸۴م)، *نهج الفصاحة*، ترجمه أبو القاسم باینده، طهران: دنیای دانش.
- مولّی، کرامت (۲۰۱۴م)، *مبانی روان‌کاوی فروید - لکان «مبادئ التحليل النفسي في منهج فرويد - لakan»*، طهران: نی للنشر.
- نریمانی، بریوش (۲۰۱۱م)، *احتلال شخصیت خودشیفتگی: پیامدها و راهبردها «اضطراب الشخصية، الترجسية: التداعيات والإستراتيギات»*، الطبعة الثانية، طهران: آواز نور.
- نجفی، محمد حسن (۲۰۱۳م)، *جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام*، ج ۲۲، طهران: إسلامیة.

المقالات

- الحسمني، عبد علي، نجم، عبدالخالق (١٩٩٠م)، دراسة نفسية لشخصية المتنبي من خلال شعره، مجلة الآداب، بجامعة بغداد، العدد ٣٧، صص ٢٤٥-٢١٤.
- راكعي، فاطمة (٢٠١٤م)، أخلاق در شعر «الأخلاق في الشعر»، مجلة/أخلاق در علوم و فنون اسلامی، السنة التاسعة، العدد ٣، صص ١١-١.
- كلانتری، علي أكبر (٢٠٠٧م)، شعر و شاعری از نگاه قرآن و حدیث «الشعر وفرض الشعور من منظور القرآن والأحاديث»، مجلة اندیشه دینی، الدورة التاسعة، العدد ٢٤.
- متحقن، مهدی و نرجس توحیدی فر، دراسة حول نظرية الأدبية المعاصرة، دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، خريف ١٣٩٢، العدد التاسع عشر، صص ٩١-١٠٢.
- نظام طهرانی، نادر، عدی بن زید العبادی، شاعر الحمة في الجاهلیة، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة الثانية، العدد الخامس، ١٦٩-١٧٥.
- هوشیار، یاسر و فیروز جریرجی، ملامح الرمانیّة في شعر محمود سامي البارودی، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة السادسة، صيف ١٣٩٣، العدد الثاني والعشرون: صص ٩-٢٣.
- یلمه‌ها، احمد رضا (٢٠١١م)، آموزه‌های تعلیمی در منظومة غنایی محب و محبوب (التعليم التعليمية في منظومة محب و محبوب الغنائية)، لسان میبن، السنة الثانية، العدد ٦، صص ١٧٦-١٥٠.

المصادر الإنجليزية

- Habermas J. (1987). The Philosophical Discourse of Modernity. Cambridge: Polity Press. P.4. Philosophy. Ed. BeckL. Chicago: University of Chicago press. P. 133.
- Kant I. (1949). Critique of Practical Reason and other Writing in Moral.
- Tolstoy L. (1897). What is art? Translated by: Dehghan k. (1955). Tehran. Amir Kabir Publication (in Persian).

COPYRIGHTS

© 2023 by the authors. Licensee Islamic Azad University Jiroft Branch. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) (<https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>)

ارجاع: بروجی سودابه، مختاری قاسم، شهبازی محمود، جرفی محمد، دراسة الترجسية الأدبية في تقديم النماذج التربوية - الأخلاقية في أشعار الشعرا العرب المعاصرین بالاعتماد على نظرية «الذات»، لهانیز کوهوت (محمود سامي البارودی آنمونجا)، دراسات الأدب المعاصر، السنة ١٥ ، العدد ٥٩، خريف ١٤٤٥ ، الصفحات ١١٨-٩٢.